العرب
الجمعة 2019/11/22
السنة 42 العدد 11536

يا شعبنا العظيم... لن يخدعك

زهير قصيباتي
كاتب وصحافي لبناني

من ينتحر في لبنان، الانتفاضة أم طبقة الفساد والنهب؟ من يستسلم في بغداد، شعلة الشباب الغاضب أم طبقة مشاريع السرقات، التي تحتمي بنظام الحصص حول كعكة المليارات؟

تصدح الحناجر في بيروت وطرابلس وصيدا والنبطية وساحل المتن... ترتفع قبضات الغضب في وجه أرباب النظام الطائفي، الذين احتموا عقودا بسلاح تخويف من فتنة يمدد لهم شرعية ظالمة.

الكارثة أن من يرخي عباءة شرعيته المزيفة على أعناق جيل الغضب المنتفض في لبنان ومن يرخي قبضة القمع على جيل الثأر في العراق، ما زال يراهن على تضليل شعبين ولي عنقهما ورشوتهما بفتات عدالة وفرص تأخرت عقودا

تعلو القبضات الجريحة من بغداد إلى البصرة وحراس الحصص كما في لبنان، صدقوا خديعتهم الكبرى بتوجيه أصابع الاتهام إلى مؤامرة أشباح لكأنهم ملائكة... هكذا يروجون للعبة المؤامرة التي تحول جيلا كاملا إلى أشرار أو تلامذة في ملعب الإرهاب.

الكارثة أن من يرخي عباءة شرعيته المزيفة على أعناق جيل الغضب المنتفض على عهود الاذلال في لبنان... ومن يرخي قبضة القمع على جيل الثأر في العراق، الذي صبر 16 سنة على مافيات النهب، ما زال يراهن على تضليل الشعبين ولي عنقهما ورشوتهما بفتات عدالة وفرص تأخرت عقودا.

الكارثة ألا يقتنع من يتمترس في المنطقة الخضراء في بغداد والتي حولت أحلام الشباب إلى صحراء ظلام... وألا يصدق من يراهنون على شل انتفاضة اللبنانيين، أن ما كان قبل تشرين الأول – أكتوبر لن يعود مهما أريقت من دماء في بلاد الرافدين وتواطأت مافيات النظام الطائفي في بلاد الأرز، التي جعلت البلدين مقبرة لكل حلم وأمل.

سيد القصر في لبنان لم يصدق بعد أن المنتفضين من الشمال إلى البقاع وبيروت والجبل والجنوب لن تغريهم كعكة توزير ليقايضوا بها شعلة حرية وعدل. أغدق عليهم شهادة بالنيات الحسنة ومثله فعلت الإدارة الأميركية بشهادة حسن سلوك.

سبقه إلى ذلك عادل عبدالمهدي، الذي لا يرضى للشباب شبهة الإرهاب ولكن ما بيده حيلة "الحشد الشعبي". في الحالين تتطوع واشنطن بشهادة حسن سلوك لجيل الغضب اللبناني والعراقي الثائر لاسترداد أحلامه... ورفع سياط الذل.

شأن إيران أن تخدع وتكابر وتتوهم أن "طهران ليست بيروت ولا بغداد" ولكن هل نحتاج إلى شهادة أميركية بنقاء دمائنا ورفضنا التعلم في مدارس مافيات سلطة النهب؟ أليست واشنطن، التي تدعي حمل راية العدل مع اللبنانيين والعراقيين هي ذاتها أميركا ترامب التي تغتال كل فرص العدالة لإنصاف الشعب الفلسطيني؟

واحدة من أروع صور الانتفاضة اللبنانية، مشهد شبان وشابات في بيروت يهتفون لحرية فلسطين. من أعطى لعصابات إسرائيل شرعية سرقة القدس والجولان وتخلى عن معارضته الاستيطان لن يكون إلا مع الجلاد.

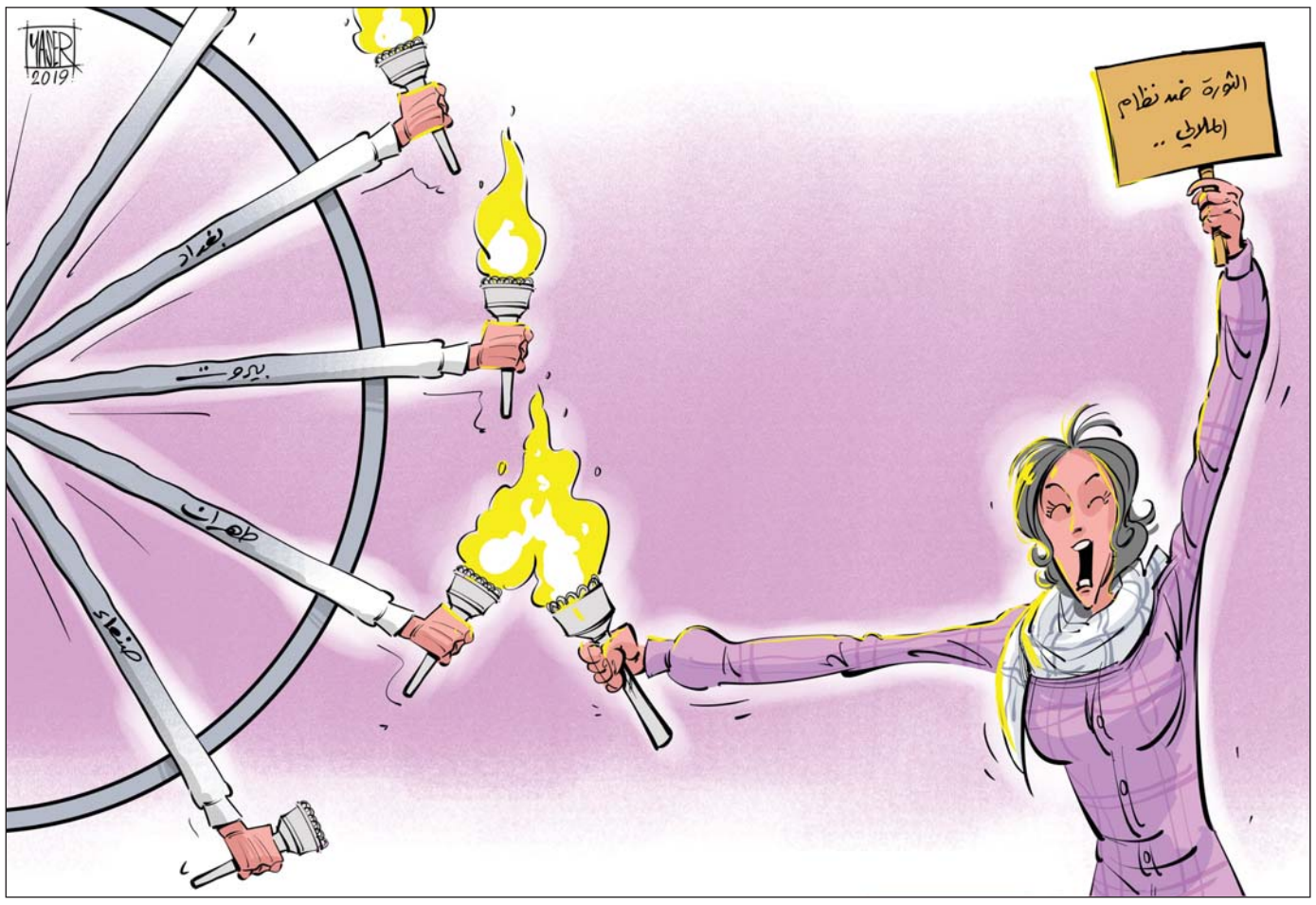

ماذا لو تغيرت إيران؟

فاروق يوسف
كاتب عراقي

علينا أن نفكر بالقوى المتضررة من سقوط النظام الإيراني بطريقة غير منحازة وبعيون مفتوحة على الحقائق، التي لا بد أن يكون بعضها جارحا وصادما وغير متوقع.

ربما يفكر البعض في أن الميليشيات من نوع حزب الله والحشد الشعبي والحوثيين هي الأكثر تضررا بسبب انغلاق الأفق أمامها، غير أن ذلك جزء من الحقيقة وليس كلها.

تلك الميليشيات ستدافع عن وجودها بطريقة مبتذلة، قد تكلف المجتمعات ثمنا ثقيلا، غير أنها ستُهزم في النهاية. ذلك لن يكون حدثا عظيما بالمقارنة مع ما ستشعر به أوروبا من أسف بسبب غياب النظام الإيراني.

ذلك أمر صادم قد يظنه الكثيرون شيئا من الخيال، ولكنه مع الأسف ينتمي إلى عالم الواقع. وهو ما صار النظام الإيراني على دراية مؤكدة به بعد انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي.

وإذا ما كان النظام الإيراني قد أظهر نوعا من عدم الثقة بأوروبا ومساعيها من أجل إنقاذه من العقوبات الأميركية بحجة الحفاظ على الاتفاق النووي من الانهيار الكامل، فلأنه كان يثق بأن أوروبا لن تتخلى عنه بغض النظر عن سياساته العدوانية في المنطقة واختراقه لحقوق الإنسان في إيران.

حرصُ أوروبا على بقاء النظام الإيراني قويا، جسدته بشكل كامل ومعلن سياسة فرنسا التي كانت ولا تزال حريصة على استمرار خلافها مع الولايات المتحدة في شأن الملف الإيراني.

بقاء النظام الإيراني من غير إحداث أي تغيير في سياساته هو ضرورة أوروبية بعكس ما جرى بالنسبة للعراق، حين ساهمت أوروبا مرتين في تدميره وفي المرة الثانية كان لها دور بارز في إلغاء الدولة فيه. إيران بالنسبة للمجتمع الدولي غير العراق. هذا صحيح. ولكن الصحيح أيضا هو أن إيران بالنظام الديني الذي يحكمها ضرورية بالنسبة للغرب بشكل عام وللولايات المتحدة بشكل خاص.

المطلوب دعم انتفاضة الشعب الإيراني الهادفة إلى رحيل النظام الديني الذي بات يشكل خطرا على القيم الإنسانية قبل الحديث عن تهديده للسلم والاستقرار العالميين

لن يكون ذلك الاستنتاج صادما إذا ما رجعنا إلى الفائدة التي يجنيها الغرب كله من الشعور المتنامي في المنطقة بالخطر القادم من إيران بسبب سياسات نظامها التوسعي القائم على مبدأ العداء الصريح والخفي بكل مستوياته للدول العربية وفي مقدمتها دول الخليج.

لقد جنت الولايات المتحدة وأوروبا أرباحا هائلة، ما كان في إمكانهما الحصول عليها في زمن قياسي، لولا رعونة وحماقة وغباء وجنون النظام الإيراني، الذي حرص على أن يتعامل مع العرب بازدواجية وجهيه الملتبسين، القومي والطائفي. وكانت لغته في ذلك التعامل هي نتاج المزج بين الوجهين. في حين اتسمت لغته في التعامل مع العالم بقدر لافت من المرونة.

لقد صرحت الولايات المتحدة من خلال رئيسها شخصيا بأن القصد من العقوبات على إيران لن يكون إسقاط النظام الحاكم فيها. وهو ما لم يكن موجودا حين تمت مقاطعة العراق اقتصاديا وفرض الحصار عليه وتجويع شعبه حيث انتهى الأمر بإسقاط نظامه السياسي وتحطيم دولته بعد احتلاله.

تشكل تلك التصريحات التزاما بالنسبة للولايات المتحدة.

ذلك ما بث دماء جديدة في جثة نظام نشر لغة الموت بنوعيه الرمزي والواقعي في المنطقة. وهو ما لن يعيره الغرب والولايات المتحدة أدنى اهتمام يُذكر في مواجهة صمت عربي سيظل محل استفهام دائم. ذلك لأن المنفعة الاقتصادية التي يجنيها الغرب من علاقته بالعرب هي أكبر بكثير من منفعة يحصل عليها وهو يمارس دور شاهد الزور في علاقته بإيران.

لا أعتقد أن استعداء الغرب سيكون نافعا للعرب في أية مرحلة.

ولكن الديمقراطية التي يؤمن بها الغرب بشكل حقيقي تسمح بهامش من المساءلة، يمكن اللجوء إليها بطريقة عقلانية من غير أن تتأثر علاقات الدول، بعضها بالبعض الآخر.

فليس صحيحا على المستوى الإنساني والحقوقي والأخلاقي أن يقوم الغرب بدعم نظام استبدادي قمعي متخلف على حساب قيمه القائمة على مبدأ العدالة الاجتماعية. وهو ما يشكل خرقا فاضحا لمبادئ الديمقراطية.

ما هو مطلوب على مستوى إنساني أن يُدعم الشعب الإيراني في انتفاضته الهادفة إلى رحيل النظام الديني الذي بات وجوده يشكل خطرا على القيم الإنسانية قبل الحديث عن تهديده للسلم والاستقرار العالميين.

«إللي يعيش بالحيلة»

علي الصراف
كاتب عراقي

الحيلة جزء من طبيعة النظام الإيراني. والحيلة هي ما يورثه لأتباعه أينما كانوا. انظر في تاريخ ما يسمى بـ"الثورة" الإيرانية لعام 1979، وستجد أن أعمال النصب والاحتيال السياسي والأمني والإداري تشكل عشرة أعشار ذلك التاريخ.

انظر في الخطاب السياسي على سبيل المثال. سترى: "الموت لأميركا" و"الموت لإسرائيل"، كشعارين يوجزان كل الغوغائية الأخرى. إنه خطاب لو سمعته ستقول "يا لطيف، على هذه العداوة". ولكن إيران لم تطلق رصاصة واحدة على إسرائيل ولم يسقط لها قتيل واحد في أي مواجهة مع إسرائيل.

ولئن دفعت إيران تابعها في لبنان إلى أن يخوض تلك المواجهة، فليس بسبب عداوة مسبقة، بل لأن إسرائيل أرادت لأغراضها التوسعية أن "تأكل" من الحصة الطائفية لذلك التابع. لا أكثر ولا أقل. وعندما أثرت إسرائيل أن تعترف بهذه الحصة، صارت العلاقات الواقعية "سمنا وعسلا"، حتى ولو ظلت العنتريات الكلامية قائمة.

وفي الواقع، فإن شعار الموت ذاك، لم يمنع تجارة مخدرات وسلاح كشفت عنها الصفقة الشهيرة "إيران – كونترا"، خلال الحرب ضد العراق، ولا منعت مساعدة الطائرات الإسرائيلية في التدرب على قصف مفاعل تموز العراقي عام 1981.

وبرغم كل الهجمات الكلامية، فقد سمحت الحيلة في النهاية بأن يتم التوصل إلى اتفاق نووي مع إدارة الرئيس باراك أوباما، فأصبحت العلاقات الواقعية وردية، وظل خطاب "الموت لأميركا" قائما أيضا.

ولقد أنشأت تلك "الثورة" نظاما مافياويا يمثل مصالح ميليشيات النظام وأجهزته، يقوده "مرشد أعلى" هو بمثابة "الأب الأكبر". يحركها كما يشاء، ويعين على رأسها من يشاء، لكي تدين له شخصيا بالولاء.

فإذا حدث أن انفجر الشارع ضد فساد النظام أو انتهاكاته، فإنه يستبدل رؤوسا برؤوس، ويستجلب "إصلاحيين" ليحلوا محل "محافظين"، أو العكس، بينما الأمر كله مخادعات داخلية لامتصاص النقمة. وتظل عجلة الفساد تدور.

والحيلة هي أساس الثقافة السياسية – الدينية التي تنتهجها إيران وأتباعها، وأمثالهم من كل جماعات "الإسلام السياسي"، فبينما تستعير تلك "الثقافة" –وهي شديدة السطحية والهزال– من الإسلام نصوصا، فإنها توظفها على غير المراد منها، وتسترخصها لغايات أرخص، وتبرر من خلالها الجرائم، وتتخذها تعلة لسوء التدبير. حتى لكأنها إذا ما ألبست الفساد عمامة، فإنه لا يعود فسادا. وحتى لكأن الناس لا يرونه.

و"التقية" في تلك "الثقافة" إنما تعني حصرا أن تقول شيئا وتفعل آخر. و"التقية" أو الكذب، أو الضحك على الذقون، سمها ما شئت، هي في الواقع كل تاريخ "الثورة الإسلامية في إيران". حتى هذه التسمية نفسها تنطوي على مستوى مماثل من "التقية"، إذ أنها لا ثورة ولا إسلامية، وهي ضد إيران. والكذب فيها عميق إلى درجة أنه وصل إلى حرف الجر.

وعندما اندلعت التظاهرات احتجاجا على رفع أسعار البنزين في إيران، فقد أوجد "المرشد الأعلى" الحيلة للنجاة. فهو دافع عن القرار، ولكنه قال "إن عوائد هذا الإجراء لن تدخل ميزانية الدولة ولكنها سوف توجه لمساعدة 18 مليون أسرة فقيرة في إيران".

المسؤولون الإيرانيون لم يصدحوا بذلك قبل أن يتم اتخاذ الإجراء. فالغاية الأصلية منه هي تمويل ميزانية الدولة، التي تواجه عجزا، ولم تعد تكفي لتمويل النظام وجماعاته وميليشياته.

لقد بدت الحيلة نوعا من التسليم بأن النظام لم يعد قادرا على المزيد من إفقار الإيرانيين، الذين يعيش 70 بالمئة منهم على ضفاف الفقر أو تحت خطه. وهم إذ يحتجون، فعلى فقرهم، وليس على أسعار البنزين، فهذه قشة قصمت ظهرا مكسورا في الأساس.

والحديث عن وجود 18 مليون أسرة تحتاج إلى معونات هو نفسه فضيحة. فهؤلاء يصلون في الواقع إلى نحو 60 مليون إنسان بحسب حسن روحاني نفسه، من مجموع 81 مليونا.

الحيلة لم تنطل على أحد، على أي حال. فالفقر الذي يرزح تحته الإيرانيون أسوأ من كل حيلة. والعائدات حتى لو تم توزيعها بالفعل على 60 مليونا فإنها لن تكفي لشراء قطعة جبن.

فقر إيران الذي صنعته سلطة الحيلة، يقدم برهانا على صواب المثل الشعبي العراقي القائل: «إللي يعيش بالحيلة، يموت بالفقر»

تنتج إيران، بحسب وزير النفط بيجن نامدار زنغنه، 36 مليون لتر من البنزين يوميا. ويفترض بالزيادة أن توفر للخزينة 9 ملايين دولار يوميا. وهو ما يعني أن حصة كل واحد من أولئك الـ60 مليونا سوف تبلغ 16 سنتا من الدولار فقط.

لعله عبقري في العثور على حيلة، لأنها جزء من الطبيعة والموروث والعادات. ولكن عبقريته لم تنظر إلى ما فعلت بكل هذا العدد من البشر، ولا إلى هزال ما تقترحه من معونات.

انظر إلى فقر إيران الذي صنعته سلطة الحيلة، وستعرف برهانا آخر على صواب المثل الشعبي العراقي القائل: "إللي يعيش بالحيلة، يموت بالفقر".